الهند وعبد الكلام

عـام ٢٠٠٧ أطلقت الهند – الدولة النووية التي لا يعرف عنهـا بعض الناس إلا أنها مصدر للأرز البسمتي والحلاقين – أولى مركباتها نحو الفضاء، واللافت أن المركبة الفضائية والصـاروخ؛ بـل حتـى العلمـاء والباحثـين وعمـال الشـاي والقهـوة في قاعدة (إنـدرا براديش) كلهم هنـود ١٠٠٪ أي إنهـا عملية (هنودة) على وزن (سعـودة) مكتملة الجوانب، وليـس كما نفعل نحـن العرب عندما نذهـب (بفلوسنا) إلى قاعـدة (بايكونـور) في كازاخستان، أو إلى قاعـدة (غويانا الفرنسية)، لتناول المرطبات والاستمتاع بالفرجة على إطلاق قمرنا الصناعي الذي ليس له من العروبة إلا اسمه، والأدهى أنه لا يضيف للعالم إلا المزيد من (الكليبات) التافهة وقنوات الشات والدردشة الرخيصة.

الهند التي يتلذذ بعضنا بالتقليل من شأنها، حين يضرب بها المثل في (القرقرة) وكثرة الكلام، والتي بدأت برنامجها الفضائـي عـام ١٩٦٣ حـين أسست لجنـة الهنـد للأبحاث الفضائيـة (INSCOSPAR) ستبقـي مركباتهـا في الفضـاء عامين، تجري خلالهما تجارب وأبحاثًا غير مسبوقة، تدرس فيهـا طبقات الجـو، وسيبحـث علماؤها عن مصـادر طاقة فضائيـة بديلة للبترول العربـي، إضافة إلـى آلاف الأبحاث التي ستفيد كل البشرية دون استثناء.

وفي حين سنكون نحن السعوديين منشغلين خلال العشر سنوات القادمة باجترار قضايانا المزمنة (قيادة المرأة للسيارة..الصراع الفكري السعودي المعروف.. تصريف مياه السيول.. عدم تأهل المنتخب لكأس العالم ٢٠٢٠) فإن الهنود – الذين يصورهم بعضنا بأنهم شعب محدود الفهم – سينشغلون في السنوات العشر نفسها بإطلاق ١٢ رحلة فضائية كل عام، أي ما مجموعه ١٢٠رحلة، وستكون بلادهم من أكثر الدول تقديمًا لخدمة «إطلاق الأقمار الصناعية»، بعد أن نجحت عام ٢٠٠٨ في إطلاق «١٠» أقمار صناعية بصاروخ واحد. وسيتمكنون -كما هو معلن – من إطلاق أول رحلة مأهولة إلى الفضاء بحلول ٢٠١٦.

من يعرف اهتمام الهند بالعلم والعلماء لا يستغرب تحقيقها كل هذا التقدم المذهل، فالدكتور أبوبكر عبدالكلام أحد أبرز علماء الهند أصبح الرئيس الحادي عشر للدولة منذ عام ٢٠٠٢ حتى ٢٠٠٧ تقديرًا لدوره العلمي في البرنامج النووي والصاروخي الهندي، وذلك ما دفع عالمًا عربيًّا كبيرًا هو فاروق الباز إلى أن يقول: «حين كبرت، وعرفت حقيقة الهند تمنيت أن أكون هنديًّا». وقد جمع (عبدالكلام) كثيرًا من تصوراته في كتابه «الهند ٢٠٢٠» الذي وضع فيه مخططًا

لتطويـر الهنـد، وتحويلها إلى قوة عظمى تقـوم على المعرفة بحلول عام ٢٠٢٠.

إذا كان (عبدالـكلام) والساسـة الهنـود قد نجحوا في تحويل بلادهم من واحدة من أكثر بقاع الأرض فقرًا وازدحامًا وجهلًا وخرافة إلى دولة حديثة تنافس على الصدارة في علوم الفضاء وتقنية الأقمار الصناعية على الرغم من شح الموارد، فإن المفهوم العربي لعلوم الفضاء والأقمار الصناعية لا يزال يراوح بين إنشاء قنوات الردح والشتائم التي تفرق أكثر مما تجمـع، وقنوات (الشخلعة) التي لا تقـدم إلا التافه والهابط من البرامج والأغـاني والمسلسلات الرخيصة، وكلها لم تزد العرب إلا غرقًا في بحور الجهل والغفلة والإخفاق والعنصرية البغيضة.

شعر: وحيدٌ مِن الخلانِ في كلِّ بلدةٍ

إذا عظمَ المطلوبُ قلّ المساعدُ